بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هذب النفوس بمبادئ الإسلام وطهر القلوب بنور الإيمان وشرح الصدور بهدايات القرآن ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين محمد الرسول الأمين ﷺ الذي شرفه ربه عز وجل بالقرآن الكريم وأعجز به أرباب الفصاحة والبلاغة وخشعت قلوبهم لذكر الله وروعة بيانه وإعجاب تصويرة، وعلى أله وصحبه ﷺ ورضوا عنه أما بعد:

فإنَّ الانفعالات النفسية قد اخذت حيزا كبيرا في القران الكريم بمختلف ابعادها و صورها و لما لا يكون كذلك و قد جاء القرآن ليهذب النفوس و يهديها الى الطريق القويم و الصراط المستقيم فعرضها بكل ابعادها و دلالتها النفسية و من بين هذه الانفعالات انفعال الحزن هذا الانفعال الملازم للإنسان ما دام يعيش في هذه الدنيا فهو ابدا في حزن من فقد محبوب أو ذهاب عزيز ونظراً لأهمية هذا الانفعال فقد احببت دراسته و بيان ابعاده النفسية و اشكاله و تأثيره و كيف هذبه القرآن و شذبه ،إن السؤال الذي يريد البحث مناقشته و الاشارة اليه هو كيف نظر القرآن الكريم إلى الانفعالات النفسية ؟ وكيف تعامل مع هذه الانفعالات ؟ و ما هي تأثيراتها السلوكية ؟ و ما هي ابعاد النظرة النفسية المعاصرة لهذه الانفعالات ؟ وكيف نظر القرآن الكريم إلى انفعال الحزن ؟ هذه الاسئلة حاولت صفحات هذا البحث مناقشتها و الاجابة عنها ، و قد اتبعت منهج الدراسة الموضوعية لأنها اكثر صلة بهكذا موضوع وقد درست انفعال الحزن عند نبي من انبياء الله هو سيدنا يعقوب و ذلك لان انفعال الحزن كان واضحاً عنده متمثلاً فيه بكل صوره وابعاده النفسية لذا و سمت هذا البحث (انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب علية السلام ودلالاته النفسية): وقد قسمت البحث على مبحثين الاول ،في مفهوم الحزن وتفسيره في حق الانبياء وقسمته على مطلبين الاول في تعريف الحزن لغة واصطلاحا ومن الناحية النفسية و الثاني في تفسير الحزن عند الانبياء اما المبحث الثاني فلصور الحزن و ابعاده النفسية قصة سيدنا يعقوب انموذجاً وقد قسمته على ثلاثة مطالب الاول حزن التوقع لفقد المحبوب ، الثاني الحزن بعد فقد المحبوب ، الثالث الحزن مع طول الفرقة وتقادم الزمن و الخاتمة لاهم النتائج الذي خرج بها هذا البحث التي من اهمها ان الانفعالات

النفسية في القرآن الكريم تحمل وراءها دلالات نفسية و ابعاد سلوكية تحتاج منا الى دراسة و بحث حتى نخرج بعلم نفس قراني.

المبحث الاول

مفهوم الحزن وتفسيره في حق الانبياء

المطلب الأول

تعريف الحزن(لغة واصطلاحاً ومن الناحية النفسية)

اولا– الحزن لغة : الحزن في اللغة من الحزن بضم الحاء و الحزن بفتح الحاء ففيه لغتان فهم (إذا ثقّلوا فتحوا، وإذا ضموا خفّفوا، يقال: أصابه حَزَنٌ شديدٌ، وحُزْنٌ شديد)[١]، وذهب أبو عمرو بن العلاء: (إذا جَاءَ الحَزَنُ مَنْصُوباً فَتَحُوا، وَإِذا جَاءَ مَرْفُوعا أَو مكسوراً ضَمُّوا الْحَاء)[٢]، وذلك إن الحزن غالبا ما يقترن بالهم والغم كما يأتي بمعنى خشونة الشيء[٣]، هو:(نقيض الفرح وخلاف السرور)[٤]، ويأتي بمعنى الهم[٥]،وقال بن فارس:(الْحَاءُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خُشُونَةُ الشَّيْءِ وَشِدَّةٌ فِيهِ، فَمِنْ ذَلِكَ الْحَزْنِ، وَهُوَ مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْحُزْنُ مَعْرُوفٌ، يُقَالُ حَزَنَنِي الشَّيْءُ يَحْزُنُنِي ؛ وَقَدْ قَالُوا أَحْزَنَنِي، وَحُزَانَتُكَ: أَهْلُكَ وَمَنْ تَتَحَزَّنُ لَهُ)[٦]،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾[٧]، أي الغم[٨]،

ثانياً –الحزن اصطلاحاً : تركزت تعريفات العلماء على الجانب النفسي منه، وليس على آثاره الظاهرة فقط فهو: (عبارة عما يحصل لوقوع مكروه ، أو لفوات محبوب في الماضي) [٩]، وعرفه الإمام البغوي :الحزن (أَلَمُ الْقَلْبِ بِفِرَاقِ الْمَحْبُوبِ)[١٠]، وعرفه محمد رشيد رضا، بتعريف جامع فقال: الحزن(ألم يَلَمُّ بالنفس عند فقد المحبوب ،أو امتناع عن مرغوب ،أو حدوث مكروه)[١١]،

ثالثاً –الحزن عند علماء النفس : (الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور ، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصاً عزيزاً ، أو شيئاً ذا قيمة كبيرة ، أو إذا حلت به كارثة ما، أو فشل في تحقيق أمر هام)[١٢]. وقيل : بأنهُ مشاعر عاطفية لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى ،وأنهُ رد فعل لظرف سلبي[١٣]،

رابعاً –الحزن عند أهل التفسير: عرفه ابن عاشور:(هُوَ شِدَّةُ الْأَسَفِ الْبَالِغَةُ حَدَّ الْكَآبَةِ وَالِانْكِسَارِ)[١٤]، وعرفه صاحب زهرة التفاسير فقال:(هو الهم الذي يصيب القلب)[١٥] ،وقال الشعراوي:(الحزن أن يفوتك شيء تحبه وتتمناه)[١٦] ،وعرفه سيد طنطاوي فقال: الحزن (ألم نفسي يصيب الإنسان عند فقد ما يحب،أو عدم إدراكه، أو عند نزول أمر يجعل النفس في هم وقلق)[١٧] .

المطلب الثاني

تفسير الحزن عند الانبياء

اولاً–الأنبياء والانفعالات النفسية:

الانفعال لغة :–(انفعلَ ينفعل، انفعالاً، فهو مُنفعِل، والمفعول مُنفعَلٌ به ، وانفعل بأمرٍ: اهتاج، تأثَّر به؛ أثار الأمرُ مشاعرَه أو عواطفه "انفعل برؤية مشهد حزين، وانفعل فلانٌ، انفعل على ابنه: ثار وغضب)[١٨].

الانفعال اصطلاحاً:– هو(الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير أو لا كالهيئة الحاصلة للمنقطع ما دام منقطعا)[١٩] ، وقد عرفه البركتي فقال :الانفعال(حالة حاصلة للشيء بسبب تأثره عن غيره)[٢٠] .

الانفعال عند علماء النفس:– (أنها حالة جسمية نفسية ثائرة، أو حالة من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه ، ولها القدرة على حفزه على النشاط ، وبذا يكون الفزع والهلع من الانفعالات)[٢١].

وقد ذكر القرآن الكريم حزن الأنبياء وكشف عن مكنونات نفوسهم تجاه سبب الحزن، فمنهم من كان حزنه عاطفياً كحزن يعقوب عليه السلام ومنهم من كان حزنه على واقع امته كحزن نبينا محمد ﷺ ، فالحزن انفعال طبيعي فطر الله الإنسان عليه وجعله غريزة فيه، فالباري سبحانه، (أودع هذا الإنسان خاصية الضحك وخاصية البكاء، وهما سر من أسرار التكوين البشري لا يدري أحد كيف هما، ولا كيف تقعان في هذا الجهاز المركب المعقد، الذي لا يقل تركيبه وتعقيده النفسي عن تركيبه وتعقيده العضوي، والذي تتداخل المؤثرات النفسية والمؤثرات العضوية فيه وتتشابكان وتتفاعلان في إحداث الضحك وإحداث

البكاء[٢٢]،والحزن مظهر من مظاهر الله عز وجل، وسر من أسرار خلقه، والأنبياء عليهم السلام لكونهم بشراً أصابهم الحزن على أنواعه وأشكاله، وتعدد مسبباته، وهم النماذج التي يقتدى بها ويتأسى بها الناس، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى، جعل الله تعالى أقوالهم وأفعالهم محلا للتأسي والاقتداء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [٢٣] ، ولقد أصاب الأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم للأحداث والوقائع كثير من الانفعالات النفسية التي تركت آثراً في مسيرة دعوتهم كالغضب ، والخوف ، والندم ، واليأس، وغيرها من الانفعالات ، ولما كان الأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، وانموذج العنصر الإنساني فقد تفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها بهذه الانفعالات والأحاسيس،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ [٢٤] ،هنا جاء الحزن بدلالة توقع حصول مكروه ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ﴾ [٢٥] ،فقد بين الباري سبحانه وتعالى انفعال حزن الرسولﷺ على افتراءات وتقولات المكذبين والجاحدين علية ،وقد اثبت الباري سبحانه وتعالى هذا الحزن اثباتاً مؤكداً، إنه ليحزنك ويؤلم نفسك ما عليه هؤلاء القوم، وما يقولونه لك من تكذيب وطعن، وتنفير للعرب عن دعوتك، وهذه نفسك الطاهرة تتألم[٢٦] .

ثانياً–انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام حدوده وابعاده:–

يعد الحزن من الآثار النفسية التي تنتاب الإنسان ، فتعطي تغيرات فسيولوجية تظهر على ملامحه مما يعطي انطباعاً للآخرين بما يراود هذا الإنسان من الحزن ،وتبدأ دلالات انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام بمشاهد تصويرية ناطقة بكل تفاصيل لقطات الأحداث التي دارت بين الأب وأولاده حول يوسف عليه السلام ويتمثل هذا الانفعال كما صوره لنا القرآن الكريم ، في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢٧]،تدارس إخوة يوسف فيما بينهم في أسلم الطرق التي ينجحون فيها في تنفيذ مؤامرتهم، حول أخيهم يوسف عليه السلام، والحاجز الوحيد أمامهم هو كيفية خداع أبيهم يعقوب عليه السلام، فتظاهروا مكراً بمحبته ومؤانسته لأخذه معهم، وأظهروا استعدادهم للحفاظ عليه، وقوتهم في الدفاع عنه، وأنهم قادرون على حراسته وحمايته من الذئب المفترس ، وإن ضعف الإنسان وعجزه، وقلقه ومخاوفه، وحرصه على حبّ الذات والظفر بأعظم المغانم وأكثرها،

يجعله يقع في أحوال لا تتفق مع أصول الأخلاق، ولا تنسجم مع الطبائع السوية، وهكذا كانت تصرفات إخوة يوسف عليه السلام معه مثلاً غريباً في الكيد والحسد والتآمر الدنيء، فلم يتورعوا أن عرّضوا أخاهم للموت البطيء، أو القتل بالتسبب، فتآمروا على إلقائه في بئر، فإما أن يموت أو يلتقطه مسافر، فيجعله عبداً خادماً لسيّده، وينتهي في كلا الحالين وجوده، وهذا تصوير المؤامرة، وتمثّل هذه المؤامرة الطبيعة البشرية الدنية، فهؤلاء الإخوة دفعهم البغض والحسد والغيرة، على الإقدام على جريمة القتل أو التعريض للخطر، حرصا على المصلحة الذاتية[٢٨] ،فهذه القصة كانت لها انفعالات نفسية لها ابعادها وحدودها عند يعقوب عليه السلام تمثلت بما يأتي :-

١. إن يعقوب عليه السلام لما علم أن يوسف عليه السلام حي خاف على دينه فاشتد حزنه لذلك.
٢. إن يعقوب عليه السلام حزن لأنه سلمه إليهم صغيراً فندم على ذلك .
٣. إن الحزن ليس بمحظور وإنما المحظور الولولة وشق الثياب والكلام بما لا ينبغي وقد أورد الأمام البخاري حديثاً في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال فيه:(لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)[٢٩] .
٤. إن يعقوب عليه السلام قد عرف إن أمراً ما قد دبر ليوسف عليه السلام على الرغم من تصنعهم الكذب وتلطيخ القميص والتأخر إلى العشاء ،والرعاة لا يتأخرون عادة بعد المغرب إلا لأمر جلل ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [٣٠] .
٥. اعتراف إخوة يوسف عليه السلام بفضله عليهم وسوء فعلهم ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ ﴾ [٣١] .

٦. توبة إخوة يوسف عليه السلام واللجوء إلى أبيهم ليستغفر لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٣٢] ،فهذه هي أهم حدود وابعاد الانفعالات النفسية عند سيدنا يعقوب عليه السلام[٣٣]

المبحث الثاني

صور الحزن وابعاده النفسية قصة سيدنا يعقوب عليه السلام أنموذجاً

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام في ثلاثة مشاهد من سورة يوسف عليه السلام ، وتعد هذه السورة أكثر سور القرآن إبرازاً وإظهاراً لانفعال الحزن، كما أنها السورة الوحيدة التي صورت نفسية يعقوب عليه السلام على حقيقتها، ورسمتها بواقعيتها كوالد ملهوف على ولده ينفعل حزناً ،وخوفاً عليه، وسأتناول هذه المشاهد الانفعالية للحزن عبر مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول

حزن توقع فقد المحبوب

لو امعنا النظر في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٣٤]،لتبين لنا أن سيدنا يعقوب عليه السلام كان يتوقع أمراً سيحصل بمجرد ذهاب يوسف عليه السلام معهم وهذا مشاهد في حياتنا اليومية فنحنُ في احيان كثيرة نحزن لخروج ابنائنا إلى مكان ما حيث نشعر عادةً بالحزن إذا ما غاب أبناؤنا عنا ، أو إذا ما لحق بهم أذاً ، أو أصابهم مكروه، فقد صور النص القرآني دلالة مشهد يكشف الستار عن انفعال يعقوب عليه السلام انفعال حزن مقرون بالخوف على ولده يوسف عليه السلام كما يكشف عن مدى تعلق يعقوب عليه السلام به[٣٥] ، وتمثل الصورة هنا شخصية الأب الحذر مما يخطط له أبناؤه ، وهو الأعلم بما في نفوسهم، فما أن راود أولاد يعقوب عليه السلام أباهم لاصطحاب يوسف عليه السلام معهم في رحلة الرعي حتى بدأ الحزن ظاهراً بل أنه صرح لهم بقوله: (إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ)،لأني لا أصبر عن عدم رؤيته ولا أطيق فراقه سالما ،فكيف إذا كان الخوف عليه أنْ يأكله الذئب[٣٦]، الآيات تبين بأنهم طلبوا قبل ذلك من أَبيهم أَن يخرج يوسفعليه السلام معهم، فلم يوافق على ما طلبوه ،فقالوا هذا الكلام متعجبين من رفضه

لطلبهم، مع أنه أبوهم جميعًا وهم أبناؤه، وأنهم يريدون الخير ليوسف عليه السلام ويشفقون عليه، ويؤكدون ذلك بما تضمنته جملة:(وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ) من المؤكدات المختلفة، فدلالة هذا الاستفهام :الاستغراب ، والاستعجاب لرفضه ، وقد جاؤوا بحجج مقنعة لا تقبل الرد، وقد كان لأسلوب التوكيد أثره في بيان هذا الاستغراب، فالمؤكدات (أن) المؤكدة لرفع التوهم، وتعضيد هذا التوكيد بمؤكد آخر هو اللام المقترن بالخبر دلالات لها وقعها على السامع فتعطيه ضمانات ترفع أي شك، وريبة في نياتهم لأن مجيئهم بلفظي الأمن، والنصح وهو دليل على سكون النفس إلى انتفاء الشر، وضده الخوف،(أَيُّ شَيْءٍ عَرَضَ لَكَ مِنَ الشُّبْهَةِ فِي أَمَانَتِنَا فَجَعَلَكَ لَا تَأْمَنُّا عَلَى يُوسُفَ؟ وَكَانُوا قَدْ شَعَرُوا مِنْهُ بِهَذَا بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ رُؤْيَا يُوسُفَ، وَيَظْهَرُ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِهَا، كَمَا أَنَّهُ شَعَرَ مِنْهُمْ بِالتَّنَكُّرِ لَهُ)[٣٧]، فالحوار الذي دار بين الأبناء والأب قد صور لنا مشهد دلالي ناطق بكل خفايا النفوس وما تضمر في داخلها ، ،فمن جانب الإخوة أفصح لنا عن دلالة ما يكيدون في نفوسهم من حسد وحقد ظهر عليهم من خلال صيغة السؤال للأب ،أما من جانب الأب، فقد دلت الإجابة على مدى انفعال الحزن ، والحرص على يوسف عليه السلام من إخوته، وقد وصف ذلك المشهد سيد قطب قائلاً:(والتعبير يرسم بكلماته وعباراته كل ما بذلوه ليتدسسوا به إلى قلب الوالد المتعلق بولده الصغير الحبيب،الذي يتوسم فيه أن يكون الوارث لبركات أبيه إبراهيم..(يَٰٓأَبَانَا) ..بهذا اللفظ الموحي المذكر بما بينه وبينهم مناصره (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ)؟ سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفي، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم ،والتسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم يوسف عليه السلام ...،فهي مبادرة ماكرة منهم خبيثة!(وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ)، قلوبنا له صافية لا يخالطها سوء، ...(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)[٣٨]، زيادة في التوكيد ،وتصويراً لما ينتظر يوسف من النشاط والمسرة، ...ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب بقوله:(لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ)،إنني لا أطيق فراقه.. ولابد أن هذه هاجت أحقادهم وضاعفتها، أن يبلغ حبه له درجة الحزن لفراقه، ولو لبعض يوم، وهو ذاهب كما قالوا له للنشاط و المسرة)[٣٩]، ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [٤٠]، نسب يعقوب عليه السلام خوفه الى الذئب، وذلك لما كانت تتصف به ذئاب بلاد الشام من صفة معروفة تكون مقبولة عندما ينسب خوفه عدم

السماح ليوسف عليه السلام بالخروج اليها ، وهي أنها كانت تتصف بالشراسة الفائقة عند رؤية الدم من الفريسة، وهذا ما صورهُ لنا ابن عاشور بقوله :(فَذِئَابُ بَادِيَةِ الشَّامِ كَانَتْ أَشَدَّ خُبْثًا مِنْ بَقِيَّةِ الذِّئَابِ ،وَلَعَلَّهَا كَانَتْ كَذِئَابِ بِلَادِ الرُّوسِ، وَالْعَرَبُ يَقُولُونَ: إِنَّ الذِّئْبَ إِذَا حُورِبَ وَدَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى عَضَّ الْإِنْسَانَ وَأَسَالَ دَمَهُ أَنَّهُ يَضْرَى حِينَ يَرَى الدَّمَ فَيَسْتَأْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ)[٤١]، وهذه الصفة للذئاب كانت العون لما يخططون له وأنهم(وجدوا فيها عذراً كانوا يبحثون عنه ،أو كان الحقد الهائج أعماهم فلم يفكروا ماذا يقولون لأبيهم بعد فعلتهم المنكرة ،حتى لقنهم أبوهم هذا الجواب! واختاروا أسلوباً من الأساليب المؤثرة لنفي هذا الخاطر عنه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [٤٢]، لئن غلبنا الذئب عليه، ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا، وإننا لخاسرون كل شيء ،فلا نصلح لشيء أبداً! وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد و لذلك الإحراج .. ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته)[٤٣]، وقوله :(إِنِّ لَيَحۡزُنُنِيٓ) أي حزناً ظاهراً محققاً ،وذلك بما أشار إليه إظهار النون وإثباته لام الابتداء[٤٤]، واللام في (لَيَحۡزُنُنِيٓ) للابتداء ، ودخولها من سببي المضارعة ،وأتى بهذه اللام للتأكيد ، ولتخصيص المضارع بالحال أخبرهم أنه يحزن لفراق يوسف عليه السلام عنه لفرط محبته وخوفه عليه[٤٥]، وهذا يؤكد حصول دلالة انفعال الحزن عنده لحظة طلبهم أن يكون يوسف عليه السلام معهم كما يؤكد على مدى تعلقه به، ونرى أنَّ بعض المفسرين ينكر حصول دلالة انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام حيث يقول :(لَيَحۡزُنُنِيٓ) مستقبل لا حال .، لأنَّ المضارع إذا أسند الى متوقع تخلص للاستقبال ،لأن ذلك المتوقع مستقبل وهو المسبب لأثره ،فمحال أنْ يتقدم الأثر عليه ،فالذهاب لم يقع بعد ،فكيف بالحزن أنْ يقع وسببه لم يقع، وقد ردَ الألوسي مؤكداً حصول دلالة انفعال الحزن عند يعقوب –عليه السلام– قائلا (فإنَّ الحزن والغم كالسرور والفرح يكون بالشيئ قبل وقوعه)[٤٦]، وبما أن الحزن ألم نفسي وهذه الحالة تحدث لفقدان محبوب ،أو لوقوع مكروه ،فإنَّ يعقوب عليه السلام بعصمته النبوية وفطنته الربانية قد حصل له الهام ،أو توقع حصول مكروه على يوسف عليه السلام من أخوته لكنه كتم هذا الحزن الذي صاحبه همٌ وغمٌ شديدين والذي زاد الأمر تعقيداً مع أولاده حيث إنه لو أظهر حزنه لتغلغل العداء وأشتعل في نفوسهم التي أضمرت الشر وخططت لإبعاد يوسف عليه السلام عن أبيه مسبقاً .

المطلب الثاني

الحزن بعد فقد المحبوب

الآن نتعرف على درجة الحزن بعد وقوع المحذور وفقد المحبوب فسيدنا يعقوب عليه السلام اعطانا درساً في تحمل الحزن بعد وقوع سببه والصبر عليه صبراً جميلاً ، فإذا كانت الدلالة الأولى من دلالات انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام قد دلت على توقع فقد يوسف عليه السلام ،فهذه الدلالة جاءت بعد حصول ما كان يتوقعه وتمثلت في ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ (٤٧)،تبدأ أحداث القصة من غيرة أخوة يوسف عليه السلام له على ما حظي به من حب أبيه له، الأمر الذي أشعل نار الحقد في قلوب الأخوة ، فيجتمعون مفضين لبعضهم عن مقتهم ، وكراهيتهم لأخيهم ظنا منهم أنه يحول بينهم وبين أبيهم، وما كان ذلك ألا لأنهم كرهوا أنْ ينال أخوهم حظوة لدى والدهم، فدبروا مؤامرتهم التي انتهت بالإلقاء في الجب، وما أغرب أنْ يجمع العشرة على الكذب كما أجمعوا على الغدر والكراهية ،فيجمعون أمرهم على أقصائه بعدة طرق : إما أنْ يقتلوه ،وإما أنْ يلقوا به في الأرض البعيدة لتنهشه الذئاب، إلآ أنَّ رحمة الله به وتحقيقا لما قدر الله له يتفق الأخوة على إلقائه في البئر وفق ما اقترحه أحدهم، وقد جاءت أحداث هذه القصة بأحداث تصويرية في مشاهد متعددة أفصحت عما دار فيها من تصنع للبكاء وللكذب، وينتهي المشهد المخزي والمفضوح، (ويعود الإخوة الجناة في آخر اليوم إلى أبيهم، منتحلين الأعذار الكاذبة والواهية معا، فتباكوا في العشاء بالدموع الكاذبة، وكذبوا على أبيهم يعقوب أنهم أثناء لعبهم وتسابقهم وتركهم يوسف حارسا عند أمتعتهم، ودلّت أقوالهم بنحو سافر على كذبهم وسخفهم، وزعموا أن الذئب المفترس أكل أخاهم، وأحسّوا ضمنا بالكذب حين قالوا لوالدهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾، أي وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ولا مصدق لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ قال المبرد: كأنهم أخبروا عن أنفسهم أنهم صادقون في هذه النازلة، فهو تماد منهم في الكذب ، وزادوا في

التدليس والتمويه أنهم كما روي: أخذوا سخلة (ولد ضأن) أو جديا، فذبحوه ولطّخوا به قميص يوسف، وقالوا ليعقوب: هذا قميصه، فأخذه ولطّخ به وجهه وبكى. ثم تأمّله، فلم ير خرقا ولا أثر ناب، فاستدلّ بذلك على كذبهم، وقال لهم: متى كان الذئب حليما، يأكل يوسف، ولا يخرق قميصه؟ ،واختيار الوقت بالْعِشَاءُ، وَقَدْ أُطْلِقَ هُنَا عَلَى الْبُكَاءِ الْمُصْطَنَعِ وَهُوَ التَّبَاكِي ،وَإِنَّمَا اصْطَنَعُوا الْبُكَاءَ تَمْوِيهًا عَلَى أَبِيهِم لِئَلَّا يَظُنُّ بِهِمْ أَنَّهُمُ اغْتَالُوا يُوسُفَ عليه السلام ،وَلَعَلَّهُم كَانَتْ لَهُم مَقْدِرَةٌ عَلَى الْبُكَاءِ مَعَ عَدَم وِجْود مُوجِبِهِ[٤٨]، لأن(انفعال البكاء فطري لا مجال للاختيار فيه)[٤٩]، فأرادوا إخفاء تصنعهم البكاء فاختاروا وقت الظلمة للعودة ، ورأوه الأنسب لذلك ، ورأوا أنَّهُ اذا ما اكتشف الأخرون هذا التصنع ،فإنَّ موقفهم سيكون الحذر، وعدم التصديق ، فالبكاء هنا صور كذب نفوس هؤلاء، وأشار إشارة واضحة الى أنَّ دموع العين في أحيان كثيرة قد لا تفصح عن صدق الباكي، ولا إخلاصه، وإنما تخفي وراءها نفساً كذوبة تريد خداع الآخرين بدمع العين، وقد بان الكذب ، وانكشف الحقد[٥٠]،(ولقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة ،فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب عليه السلام باصطحاب يوسف عليه السلام معهم! ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون ،يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى ،كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلاً على التسرع ،وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس ،وهم ينفونها ،ويكادون يتهكمون بها ،فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف عليه السلام للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب)[٥١]، إذا هكذا ينتهي مشهد التباكي بدموع كاذبة مقابلاً بالكلمات التي خرجت من فم يعقوب عليه السلام وهي تخفي في داخلها الحسرة ، والأسى والهم والغم والحزن العميق على فقدان يوسف عليه السلام ويعقوب عليه السلام كان قد ادرك من دلائل الحال ومن نداء قلبه ، أن يوسف عليه السلام لم يأكله الذئب ،وأنَّهم دبروا له مكيدة ما ، وأنَّهم يلفقون قصة لم تقع ، ويصفون له حالا لم تكن[٥٢]، ولقد أدرك يعقوب عليه السلام من قسمات وجوههم، ومن دلائل حالهم، ومن نداء قلبه المفجوع أن يوسف عليه السلام لم يأكله الذئب، وأنَّ هؤلاء المتباكين هم الذين دبروا له مكيدة ما، وأنَّهم قد اصطنعوا هذه الحيلة المكشوفة مخادعة له[٥٣] ، فواجههم بأنَّ نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً ، وذللته ويسرت لهم

ارتكابه ، وإنه سيصبر متحملا لا يجزع ، ولا يفزع ، ولا يشكو ، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيل، وأكاذيب، [٥٤]، حيث اجابهم بقولة :(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) ،أي ،فأمري الذي أعتصم به تجاه مكيدتكم هو صبر جميل على حزني ، ولا اقول فيه الا ما يرضي ربي[٥٥] ، وقوله :(وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) أي على هذه المصيبة لا استعين على احتمالها غير الله احداً منكم ولا من غيركم، فالحاصل أن يعقوب عليه السلام حزن حزناً عميقاً ، ولكنه كتمه وكظمه في نفسه، وكأن الحزن لم يظهر على قسمات وجهه ، واكتفى بالشكوى إلى الله تعالى والصبر والاحتساب على مصابه[٥٦] ، والذي لا ابدي فيه تضجراً فقال يعقوب عليه السلام :(لأبنائه بأسى ولوعة بعد أن فعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا : قال لهم ليس الأمر كما زعمتم من أن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب ،وإنما الحق أن نفوسكم الحاقدة عليه هي التي زينت لكم أن تفعلوا معه فعلاً سيئاً قبيحاً ،ستكشف الأيام عنه بإذن ربي ومشيئته ،ونكر الأمر بقوله : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) ،لاحتماله عدة أشياء مما يمكن أن يؤذوا به يوسف عليه السلام،كالقتل ،أو التغريب،أو البيع في الأسواق ،لأنه لم يكن يعلم على سبيل اليقين ما فعلوه به، وفى هذا التنكير والإبهام أيضا ما فيه من التهويل والتشنيع لما اقترفوه في حق أخيهم)[٥٧]،هنا السؤال، لماذا أقعد الحزن يعقوب عليه السلام حين أخبره أولاده بأكل الذئب ليوسف عليه السلام أليس من الواجب عليه أن يذهب ويبحث عنه؟ ثم أليس من واجبه أن يتحقق من صحة الخبر؟ ثم يكون له موقف وفق ما يتيقن مما حصل ليوسف عليه السلام يقول الرازي:(إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنَعَهُ عَنِ الطَّلَبِ تَشْدِيدًا لِلْمِحْنَةِ عَلَيْهِ، وَتَغْلِيظًا لِلْأَمْرِ عَلَيْهِ، وَأَيْضًا لَعَلَّهُ عَرَفَ بِقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ أَنَّ أَوْلَادَهُ أَقْوِيَاءُ وَأَنَّهُمْ لَا يُمَكِّنُونَهُ مِنَ الطَّلَبِ وَالتَّفَحُّصِ، وَأَنَّهُ لَوْ بَالَغَ فِي الْبَحْثِ فَرُبَّمَا أَقْدَمُوا عَلَى إِيذَائِهِ وَقَتْلِهِ، وَأَيْضًا لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَصُونُ يُوسُفَ عَنِ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُعَظَّمُ بِالْآخِرَةِ، ثُمَّ لَمْ يُرِدْ هَتْكَ أَسْتَارِ سَرَائِرِ أَوْلَادِهِ وَمَا رَضِيَ بِإِلْقَائِهِمْ فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحَدَ الْوَلَدَيْنِ إِذَا ظَلَمَ الْآخَرَ وَقَعَ الْأَبُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَقِمْ يَحْتَرِقْ قَلْبُهُ عَلَى الْوَلَدِ الْمَظْلُومِ وَإِنِ انْتَقَمَ فَإِنَّهُ يَحْتَرِقُ قَلْبُهُ عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي يَنْتَقِمُ مِنْهُ، فَلَمَّا وَقَعَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْبَلِيَّةِ رَأَى أَنَّ الْأَصْوَبَ الصَّبْرُ وَالسُّكُوتُ وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّه تَعَالَى بِالْكُلِّيَّةِ)[٥٨] ،فيعقوب

عليه السلام يعطينا أروع الأمثلة في دفع أحزانه والتخفيف من آلامه، من خلال صلته بربه عز وجل، وتوكله عليه، والاستعانة به، فحين جاءه خبر أكل الذئب ولده يوسف عليه السلام قال(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)،أي اصبر وأستعين بالله والتجأ إليه.

إذن هكذا أكتشف يعقوب عليه السلام أن الأمر لم يكن مثل ما يدعون أنما هناك أمر قد دبر وراء ما حصل.

المطلب الثالث

الحزن مع طول الفرقة وتقادم الزمن

هذه دلالة أخرى من دلالات الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام تبدأ انفعالات هذه الدلالة على لسان اخوة يوسف عليه السلام في قوله ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٥٩]،فهذا المشهد الانفعالي للحزن هو أبرز انفعالات الحزن في القرآن الكريم على الاطلاق، فقد جمع مع الحزن الكمد والهم، والبكاء والبث والشكوى إلى الله تعالى ،فيعقوب عليه السلام حزن حزناً شديداً، وملك الحزن ذاته وكيانه، حتى كان كلما ذكر يوسف عليه السلام بكى بكاءً شديداً لشدة وجده وحزنه عليه حتى نتج عن كل هذا بياض العين وعدم الرؤيا ، وقد صور لنا هذا المشهد مراحل تطور انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب عليه السلام وهي:

المشهد الأول: هم النفس المكبوت: وهو مقدمة الحزن، فيعقوب عليه السلام ما أن اخبره أولادة بما جرى لأخيهم مع عزيز مصر من احتجازه بسبب سرقة المكيال، فقال نفس الكلمات التي قالها حين اخبروه بأكل الذئب ليوسف عليه السلام (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ)،وهذه الكلمات تخفي في داخلها الشك من كلام

أولاده والهم والغم المكبوت في القلب،وكان حزن يعقوب قد تجدّد بقصة بنيامين[٦٠]، فهو كرر نفس الوسيلة في دفع أحزانه لأهميتها، مضيفاً إليها بارقة أمل باللقاء ولم الشمل(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) ثم بين أن الشكاية لله تعالى واحتساب الأحزان والهموم عند خالقها مما يخفف عن المصاب ويهون عليه الاحزان.

المشهد الثاني :انفعال الحزن المقرون بتذكر أحزان الماضي : لقد هجر يعقوب عليه السلام الناس واعتزل ، خالياً إلى نفسه، ممتلئاً حزناً، قائلاً (يَاأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) ويا لها من كلمة تقطر حزناً ومرارة ، ليندب وحده من لن ينساه أبدا ، وزاده فراق ولده الثاني حزناً على حزن ،يتجرع الغيظ ولكن على حساب جسمه وأعصابه، واعرض عن أولاده، كراه لما سمع منهم وقوله (يَاأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) ،أي يا رب ارحم أسفي على يوسف،(قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبلغة بسبب فراقه ليوسف وانضمام فراقه لأخيه بنيامين وبلوغ ما بلغه من كونه أسيراً عند ملك مصر فتضاعفت أحزانه وهاج عليه الوجد القديم بما أثاره من الخبر الأخير)[٦١]، يقول الرازي :(وَإِنَّمَا عَظُمَ حُزْنُهُ عَلَى مُفَارَقَةِ يُوسُفَ عِنْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِوُجُوهٍ:

١. أَنَّ الْحُزْنَ الْجَدِيدَ يُقَوِّي الْحُزْنَ الْقَدِيمَ .
٢. أَنَّ بِنْيَامِينَ وَيُوسُفَ كَانَتِ الْمُشَابَهَةُ بَيْنَهُمَا فِي الصُّورَةِ وَالصِّفَةِ أَكْمَلَ، فَكَانَ يَتَسَلَّى بِرُؤْيَتِهِ عَنْ رُؤْيَةِ يُوسُفَ ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ زَالَ مَا يُوجِبُ السَّلْوَةَ فَعَظُمَ الْأَلَمُ وَالْوَجْدُ.
٣. أَنَّ الْمُصِيبَةَ فِي يُوسُفَ كَانَتْ أَصْلَ مَصَائِبِهِ الَّتِي عَلَيْهَا تَرَتَّبَ سَائِرُ الْمَصَائِبِ وَالرَّزَايَا، وَكَانَ الْأَسَفُ عَلَيْهِ أَسَفًا عَلَى الْكُلِّ.
٤. أَنَّ هَذِهِ الْمَصَائِبَ الْجَدِيدَةَ كَانَتْ أَسْبَابُهَا جَارِيَةً مَجْرَى الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهَا وَالْبَحْثُ عَنْهَا)[٦٢] .

المشهد الثالث: ذهاب البصر من شدة الحزن ، أن التعبير عن الحزن من دلالات العين في القران الكريم ذهاب النظر من المحزون بسبب شدة الحزن، وقد عرض القرآن الكريم صور هذا الحزن في

الكثير من آياته فيصور الحزن في أحيان كثيرة بعلامات تظهر على عيون المحزون لعل من أوضحها وأفصحها (بياض العين) ، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم ،في وصف حزن يعقوب عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [٦٣]، فبياض العين إنما نتج عن كثرة البكاء بسبب شدة الحزن فإنه (إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين، وقلبته إلى بياض كدر)[٦٤]،وهذا ما أثبته العلم الحديث، وهو معروف عند ذوي الاختصاص بأمراض العيون ،وان أهم أسبابه التغيرات الحاصلة في الأوعية الشعرية بسبب الانفعالات العصبية لا سيما في الحزن، والبكاء الذي هو سبب ابيضاض العين، وضعف البصر ظاهرة تبدل لون سوادها وعتمتها، وهو الذي يسمى عند عامة الناس بالماء الأبيض (cataract)[٦٥] ،وقيل: (وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ) أي أصابتها غشاوة بيضاء غطت على البصر مع بقاء العصب الذي يدرك المبصرات سليما معافى[٦٦]، فدل هذا المشهد على مدى انفعال الحزن الذي بلغه يعقوب عليه السلام وجاء التعبير بهذه الدلالة ليعطي معنى أبلغ في ما لو كان التعبير بمجرد الإشارة الى إن سيدنا يعقوب عليه السلام قد حزن بفراق يوسف عليهما السلام فهو كما أشارت الكلمة الأخيرة من النص قد كظم حزنه ولم ينطق بشيء وإنما ظهر ذلك على عينيه فابيضت من الحزن والوجه في هذا الكظم كما أشار المفسرون للدلالة على ان الفاعل هنا أراد أن لا يظهر ما به من بكاء وحزن للابتعاد عن الرياء وبيان شدة الاخلاص[٦٧]، ، وقد بين لنا سيد قطب هذه الدلالة خير بيان بقوله : (وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابة ، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه ،فينفرد في معزل ،يندب فجيعته في ولده الحبيب، يوسف عليه السلام الذي لم ينسه ،ولم تهوّن من مصيبته السنون ،والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل...ويكظم الرجل حزنه ويتجلد في وثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً)[٦٨]،

أذن هذه هي دلالة تقادم الاحزان هكذا وصفها لنا القرآن الكريم وبين كيف أنها تخفي ورائها نفوسا مفجوعة بالكمد والحزن الذي لازمها لزمن طويل حتى حول سواد العين الى بياض ، وهي دلالة ابلغ في التعبير من قولة قد فقد بصرة ،أو عمي.

المشهد الرابع: قطع الشكوى بالحزن والبث إلى الله، إن الحزن والأسى يمكن أن يخف ،أو ينتهي ببثه الى الناس ، وإفراغ الهموم والأحزان والغم واسبابها اليهم مما يريح النفس ويجلي الصدر خاصة اذا بثه الى اهل الصلاح ،أما اذا بقيت هذه الاحزان في القلب بعد ان جفت العين من البكاء ،فهذا قمة مراحل الحزن ، وقوله (إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ) ، قال ابو السعود:(البثّ أصعبُ الهم الذي لا يصبر عليه صاحبُه فيبثّه إلى الناس أي ينشره)[٦٩] ،والفرق بين الهم والحزن هو الذكر وعدمه يقول الرازي:(فَالْحُزْنُ إِذَا سَتَرَهُ الإنسان كان هماً وَإِذَا ذَكَرَهُ لِغَيْرِهِ كَانَ بَثًّا وَقَالُوا: الْبَثُّ أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَالْحُزْنُ أَشَدُّ الْهَمِّ)[٧٠] ،وقوله:(قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ)،فهنا يعقوب عليه السلام قد حصر الشكاية إلى الله وحده دون سواه وكأنه قال:(إنما أشكو حزني العظيم وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس)[٧١] ، إذن هكذا صور لنا القرآن الكريم ان هذا المشهد من اكثر المشاهد حزناً وأنه جمع مراحل انفعال الحزن كلها.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة القرآنية مع أحزان يعقوب علية السلام توصلت الى النتائج الاتية:-

١- إن الحزن له دلالات ومعان وأشكال متعددة.

٢- إن الحزن ألم يلم بالنفس، أو هو مشاعر عاطفية تظهر على جوارح الانسان.

٣- على الأب والأم عدم التمييز بين الأبناء على الأقل في الظاهر لأن ذلك يؤثر على نفسية الأبناء الأخرين مما يثير العداوة ، والبغضاء فيما بينهم، فهنا إشارة إلى أن يعقوب عليه السلام كان يميز بين أبنائه.

٤- باستطاعة الإنسان اظهار الحزن ، والفرح من خلال الدموع ،والضحك على غير الحقيقة.

٥- إن الدموع ، والبكاء قد لا تكون صادقة في كل وقت ، بل قد تكون تصنع في بعض الأحيان.

٦- على المسلم أن يفوض أمره الى الله في جميع المصائب، وفي كل الأحوال .

٧- أن الحزن ، وكثرة البكاء ، والدموع يؤدي الى بياض العين.

٨- إن الانفعالات النفسية قد أخذت حيزاً كبيراً في القرآن الكريم لأنه جاء ليهذب النفس على الطريق الأقوم لهذا وجب الاهتمام بهذا الجانب ودراسته دراسة نفسية حتى يكون لنا علم نفس قرآني خاص بنا.

٩- من أهم الدلالات التربوية لحزن يعقوب عليه السلام هو الصبر على هذه المحنة وأن طريق الفرج وكشف الغم يكون من خلال الصبر.

قائمة الهوامش

(١) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت: ١٧٠هـ)تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال ،٣ /١٦٠(مادة حزن)

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)تحقيق: محمد عوض مرعب :دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١، ٢٠٠١م،٢١١/٤(مادة حزن).

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٥٤/٢ (مادة حزن)

(٤) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت،ط٣- ١٤١٤ هـ ،١١١/١٣(مادة حزن)

(٥) ينظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ٢١٥/٤ (مادة حزن)

(٦) معجم مقاييس اللغة :٥٤/٢

(٧) سورة فاطر /٣٤

(٨) ينظر :المفردات في غريب القرآن ،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢ هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداوودي: دار القلم والدار الشامية ،ط١، ١٤١٢-ص١٢٣

(٩) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ،ص٨٦ .

(١٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)المحقق : عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي –بيروت ،ط١، ١٤٢٠ هـ:٤٧٩/٢

(١١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م:٣٧١/٧

(١٢) القرآن وعلم النفس: الدكتور محمد عثمان نجاتي، استاذ علم النفس بجامعة القاهرة ، دار الشروق القاهرة ،ط ٧، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، ص١٠٠

(١٣) ينظر: الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه من إعداد إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ،جامعة النجاح الوطنية ،٢٠٠٩ ص١٦٧

(١٤) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ،٩٨/٤

(١٥) زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي، ٩٧٦/٢

(١٦) تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ): مطابع أخبار اليوم،٢٧٨/١

(١٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ،ط١ ،٢٧٢/٢

(١٨) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب،ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،١٧٢٥/٣

(١٩) التعريفات:٣٩

(٢٠) التعريفات الفقهية : محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)ط ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م،٣٧

(٢١) اصول علم النفس : الدكتور راجح أحمد عزت ، المكتبة المصري الحديث للنش والتوزيع، ١٩٨٢م ، ط ١٠ الاسكندرية، ١٢٢

(٢٢) في ظلال القرآن: ٣٤١٥/٦

(٢٣) الاحزاب /٢١

(٢٤) يوسف من الآية /١٣

(٢٥) الانعام من الآية/ ٣٣

(٢٦) ينظر: التفسير الواضح: الحجازي محمد محمود دار الجيل الجديد – بيروت، ط ١٠ ، ١٤١٣ هـ،٦٠٥ .

([٢٧]) سورة يوسف/١١-١٣.

(٢٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٥٦٨/١٥ ، والتفسير الوسيط للزحيلي: الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق، ١٤٢٢ هـ ١٠٩٤/٢ ، والقرآن وعلم النفس :١٠٢.

(٢٩) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ، باب ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، ١٠٣/٢.
(٣٠) سورة يوسف /١٦- ١٨ .

(٣١) سورة يوسف /٩١.

(٣٢) سورة يوسف / ٩٧ .
(٣٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) المحقق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ٢٤٨/٩
(٣٤) سورة يوسف / ١٣.

(٣٥) ينظر : القرآن وعلم النفس، ١٠١.
(٣٦) ينظر: لطائف الإشارات : تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)تحقيق: إبراهيم البسيوني: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ،ط٣ :٦٩/٢.
(٣٧) تفسير المنار : ١٢ /٢١٧.
(٣٨) سورة يوسف/١٢.

(٣٩)في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٠، ١٤١٢ هـ، ١٩٧٤/٤.
(٤٠) سورة يوسف/١١-١٣.
(٤١) التحرير والتنوير: ٢٣٠/١٢.
(٤٢) سورة يوسف /١٤.
(٤٣) في ظلال القرآن :٤ /١٩٧٤.
(٤٤) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م،١٥/٤.

(٤٥) ينظر :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،٣٠٦/٢.

(٤٦)البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ،الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ٢٨٧/٥.

(٤٧) سورة يوسف /١٦-١٨.

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٥/١٢، والتفسير الوسيط للزحيلي: ١٠٩٦/٢.

(٤٩) تفسير الشعراوي : ٦٨٨٢/١١.

(٥٠) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان١٤١٤ -١٩٩٤م /٣٣٦ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٥ هـ،٢٩٩/١٢ ،والاساس في التفسير سعيد حوى دار السلام للنشر والتوزيع ط٢ ،١٤٠٩ -١٩٨٩م ٢٦٣٧/٥ وتفسير الشعراوي، ٦٨٨٢/١١.

(٥١) في ظلال القرآن :١٩٧٦/٤.

(٥٢) ينظر : في ظلال القران : ١٩٧٤/٤-١٩٧٥.

(٥٣) ينظر :التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٢٢٨٥/٢.

(٥٤) ينظر: في ظلال القران-١٩٧٦/٤.

(٥٥) ينظر: معارج التفكر،٦٣٤/١٠.

(٥٦) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، ١٠٧/١٨.

(٥٧) التفسير الوسيط :٣٣٠/٧.

(٥٨) مفاتيح الغيب:٤٣١/١٨.

(٥٩) سورة يوسف :٨١-٨٦.

(٦٠) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي،١١٣٤/٢.

(٦١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار النشر : دار الفكر – بيروت :٤٨/٣.

(٦٢) مفاتيح الغيب:١٨ /٤٩٦.

(٦٣)سورة يوسف من الآية /٨٤.

(٦٤) الكشاف للزمخشري : ٨٣٨/٢.

(٦٥) ينظر: علم أمراض العيون، جاك ج- كانكسي، ترجمة الدكتور ، كاصد حسن، أستشاري أمراض العيون في مستشفى الكندي العام، ط٢,١٩٩٥م،ص٢٨٥.

(٦٦) ينظر : تفسير المراغي: حمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ص٣٢.

(٦٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٥٤/١٨.

(٦٨) في ظلال القرآن :٢٠٢٢٥/٤.

(٦٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت،٣٠٢/٤.

(٧٠) مفاتيح الغيب:٥٠٠/١٨.

(٧١) فتح القدير:٤٩/٣.

Research Summary

Praise be to God and prayer and peace upon our Prophet Muhammad and his family and companions machine.

After:

The search in the book of God is a great great honor demand, particularly the interpretation of verses, study and fathom So I suggested that I start studying (the emotion of grief when our Lord Jacob peace be upon him and psychological connotations), has divided my research on two topics and beneath demands, Section I: The concept of grief and interpreted in the right prophets, first requirement: the definition of grief language and idiomatically psychologically, second requirement: explanation of grief when the prophets, and the second section images of grief and psychological dimensions story of Prophet Jacob, peace be upon him a model, first demand: melancholy expectation was beloved second requirement: grief after losing their beloved , the third demand: sadness with the length of the band and the limitations of time, and then the finale in the most important findings, this widow's mite, the you have had it by the grace of God, Ali, and that you may have missed it from me and the devil, God arrived and peace upon our Prophet Muhammad and his family and companions